الصاعقة الحادية والثمانون: ذي المعالي فليعلون من تعالى(*)

ذي العالي فليعلونْ منْ تَعَالى ... هكذا هكذا وإلا فَلا لا
شرفٌ ينطحُ النجومَ بروقيـ ... ـه وعزٌ يقلقلُ الأجبالا
حالُ أعدائنا عظيمٌ وسيفُ الـ ... ـدولةِ ابن السيوف أعظمُ حالا
كلما أعجلوا النذيرَ مسيراً ... أعجلتْهُمْ جيادُهُ الإعجالا
فأتتْهم خوارقُ الأرضِ ما تحـ ... ـملُ إلا الحديدَ والأبطالا
خافياتُ الألوانِ قدْ نسجَ النقـ ... ـعُ عليها براقعاً وجلالا
حالفتْه صدورُها والعوالي ... لتخوضنَّ دونهُ الأهوالا
ولتمضنَّ حيثُ لا يجدُ الرمـ ... ـحُ مداراً ولا الحصانُ مَجالا
لا ألومُ ابنَ لاونٍ ملكَ الرو ... مِ وإنْ كانَ ما تمنى مُحالا
أقلقتْه بنيةٌ بين أذنيْـ ... ـه وبانٍ بغى السماءَ فَنالا(١)
كلما رامَ حطَّها اتسعَ البنـ ... ـيُ فغطى جبينَهُ والقَذالا(٢)
يجمعُ الرومَ والصقالبَ والبلـ ... ـغارَ فيها وتجمعُ الآجالا
وتوافيهمُ بها في القنا السمـ ... ـرِ كما وافتِ العطاشُ الصِّلالا(٣)

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح سيف الدولة ويذكر نهوضه إلى ثغر الحدث لما بلغه أن الروم أحاطت به.

(١) البنية: القلعة. (٢) القذال: مؤخر الرأس.

(٣) الصلال: جمع صلة: أرض مطمورة بين أرضين لم يصبهما مطر.

قـصـدوا هدمَ سـورِها فـبنوهُ ... وأتوا كيْ يقـصِّـرُوهُ فَطَالا

واستـجـروا مكايدَ الحـربِ حتى ... تركـوها لهـا عليـهمْ وبالا

رُبّ أمـرٍ أتاكَ لا تحـمـدُ الفـعّـ ... ـالَ فـيـه وتحـمـدُ الأفـعَـالا

وقـسيٍّ رُمـيتَ عنهـا فـردَّتَ ... في قلوبِ الرُّمـاةِ عنكَ النّصَـالا

أخـذوا الطُّرقَ يقطعـونَ بـها الرسـ ... ـلَ فكانَ انقطاعُـهـا إرسَـالا

وهمُ البَـحْـرُ ذو الغـوارب إلا ... أنهُ صـارَ عندَ بحـرِكَ آلا[1]

مـا مـضـوْا لم يقـاتلُوك ولكـ ... ـنَّ القِـتـالَ الذي كـفـاكَ القِـتَـالا

والذي قطّع الرقـابَ منَ الضـر ... ـبِ بكـفـيكَ قطَّعَ الآمـالا

والثـبـاتُ الذي أجـادوا قـديمًا ... علَّمَ الثـابتين ذا الإجـفَـالا

نـزلوا في مـصـارعٍ عـرفُـوها ... يندبونَ الأعـمـامَ والأخـوَالا

تحـملُ الريحُ بينهم شـعـرَ الهـا ... مِ وتذري عليـهمُ الأوصَـالا

تـنذرُ الجـسمَ أن يقـومَ لديهـا ... فـتـريه لكلِّ عـضـوٍ مِـثَـالا

أبصـرُوا الطعنَ في القلوبِ دراكًـا ... قـبلَ أن يُبـصـروا الرماحَ خَـيَـالا

وإذا حـاولتْ طعـانَك خـيلٌ ... أبصـرتْ أذرعَ القنا أمـيَـالا

بسط الرعبُ في اليـمينِ يمينًا ... فـتـولوْا وفي الشـمـالِ شِـمَـالا

يـنـفضُ الرَّوعُ أيديًا لـيسَ تدري ... أسـيـوفًـا حـملنَ أم أغْـلالا

---

(١) الغوارب: أعالي الموج.

ووجوهًا أخافَها منكَ وجهٌ ... تركتْ حسنها له والجَمالا

والعيانُ الجليُّ يحدثُ للظَّـ ... ـنّ زوالًا وللمُرادِ انتقالا

وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ ... طلبَ الطعنَ وحدهُ والنّزالا

أقسموا لا رأوْكَ إلا بقلبٍ ... طَالما غرَّتِ العُيُونُ الرّجَالا

أيُّ عينٍ تأملتْكَ فلاقتْـ ... ـكَ وطرفٍ رنا إليكَ فآلا

ما يشكُّ اللعينُ في أخذكَ الجيـ ... ـشَ فهلْ يبعثُ الجيوشَ نَوالا

ما لمنْ ينصِبُ الحبائلَ في الأر ... ضِ ومرجاهُ أن يصيدَ الهِلالا

إن دونَ التي على الدّرب والأحـ ... ـدبِ والنهرِ مخلطًا مِزيالا[1]

غصبَ الدهرَ والملوكَ عليها ... فبناها في وجنةِ الأرضِ خَالا

فهي تمشي مشيَ العروسِ اختيالًا ... وتثنّى على الزمانِ دَلالا

وحمَاها بكلِّ مطَّردٍ الأكـ ... ـعبِ جورَ الزمانِ والأوْجَالا

وظبىً تعرفُ الحرامَ منَ الحـ ... ـلِّ فقدْ أفنتْ الدماءَ حَلالا

في خميسٍ من الأسودِ بئيسٍ ... يفترسْنَ النفوسَ والأموَالا

إنما أنفسُ الأنيسِ سباعٌ ... يتفارسْنَ جهرةً واغتيالا

من أطاقَ التماسَ شيءٍ غلابًا ... واغتصابًا لم يلتمسْهُ سُؤالا

كلُّ غادٍ لحاجةٍ يتمنى ... أن يكونَ الغضنفرَ الرّئبَالا

---

(١) مخلطاً مزيالاً: كثير المخالطة للأمور ومزايلتها.